

الثقافة الشعبية في الجزائر. الحكاية الشعبية عند عبد الحميد بورايو أنموذجا
Popular culture in Algeria. The Popular story according to Abdelhamid
borayo an example.

ط.د. عبد الصمد حمداوي¹، أ.د. الصديق حاج أحمد²

مخبر فضاء الصحراء في مدونة السرد الجزائري

Hamdaoui Abdessamed¹, Hadj Ahmad Saddik²

1 جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، ham.samad@uni-adrar.edu.dz

2 جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، ziwanihadsaddik@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الإرسال: 20-12-2024 تاريخ القبول: 20-05-2025 تاريخ النشر: 30-06-2025

ملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على جهود عبد الحميد بورايو واهتمامه بالحكاية الشعبية الجزائرية؛ ولهذا لا بد من طرح بعض التساؤلات التالية: كيف أسهمت الثقافة الشعبية في إثراء النص الأدبي الجزائري؟ وكيف تعامل عبد الحميد بورايو مع ثقافتنا الشعبية لتكون مكونا جماليا؟. أما بالنسبة المنهجية المتبعة فهي مقارنة وصفية تحليلية للحكاية الشعبية. ولذلك نخلص إلى أهم النتائج المتوصل إليها، حيث تزخر الثقافة الشعبية الجزائرية بمخزون ثقافي غريق ومتنوع، من القصص الصالحين، وحكايات الواقع الاجتماعي، وحكايات الحيوانات، وحكايات الألغاز وغيرها. فالثقافة الشعبية هي عبارة عن تراكمات الماضي البعيد، وكل ما يتعلق بالجانب المعرفي والفكري والعقلي والسلوك الإنساني، وكل بيئة لها خصوصيتها المتميزة عن غيرها.

كلمات مفتاحية: الثقافة، الشعبية، الحكاية، عبد الحميد بورايو

Abstract :

This research paper aims to shed light on Abdelhamid Borayo's efforts and interest in The Algerian folk tale. Therefore, some of the following questions must be asked : How did Popular culture contribute to enriching the Algerian literary text ? How did Abdelhamid Borayo deal with our Popular culture to make it an aesthetic component ?.

As for the methodology used, it is a descriptive and analytical approach to the folk tale, and therefore we conclude the most important findings, as the Algerian

الثقافة الشعبية في الجزائر. الحكاية الشعبية عند عبد الحميد بورايو أنموذجا

popular culture abounds with an ancient and diverse cultural stock, of righteous stories, tales of social reality, animal tales, tales of puzzles and others.

keywords: culture, folklore, story, Abdelhamid Borayo

المؤلف المرسل: عبد الصمد حمداوي الإيميل samad277@gmail.com

1 - مقدمة:

يشكل الأدب الشعبي أحد ركائز الأساسية والمهمة للذاكرة الحضارية والثقافية للأمة الجزائرية؛ فقد أسهم في الحفاظ على تماسكها ووحدةها في كل مراحل التاريخ الصعبة التي مرت بها الجزائر، وحظي باهتمام بالغ لدى المستعمر الفرنسي، بغية الكشف عن البنية الفكرية والثقافية والعقلية بصفة عامة للمجتمع الجزائري وذلك للهيمنة عليه.

وكما نجد أن الثقافة الشعبية الجزائرية تزخر بمخزون ثقافي عريق ومتنوع الأجناس سواء في الشعر الملحون، والأمثال والحكم، والقصص الشعبية مثل: قصص الأولياء الصالحين، وحكايات الواقع الاجتماعي، وحكايات الحيوانات، وحكايات الألغاز .. إلخ.

وعلى هذا الأساس، نجد اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين الذين تركوا أعمالا قيمة في مجال الأدب الشعبي، أمثال التلي بن الشيخ، والعربي بن دحو، ومحمد عيلان، وعبد الملك مرتاض، وغيرهم.

ولكن في هذا المقال نسلط الضوء على جهود عبد الحميد بورايو واهتمامه بالحكاية الشعبية الجزائرية. ولهذا لا بد من طرح الإشكالية الآتية: كيف أسهمت الثقافة الشعبية في إثراء النص الأدبي الجزائري؟ وكيف تعامل عبد الحميد بورايو مع ثقافتنا الشعبية لتكون مكونا جماليا؟ أما بالنسبة للمنهج المتبع فهي مقارنة وصفية تحليلية للموضوع.

2. مفهوم الثقافة الشعبية:

عبد الصمد حمداوي

الثقافة لغة: أصل (الثقافة) في المعاجم العربية المعاصرة يعود إلى الفعل الثلاثي (ثقف) فيقال: التاء والقاف والفاء كلمة واحدة، إليها يرجع الفروع وهو إقامة درء الشيء، وجاءت الثقافة في اللغة العربية في عدة معاني منها "ثقتف القناة إذا أقيمت عوجها، وثقتفه بالثقليل أقيمت المعوج منه" (فارس، 1979). والثقافة في المدلول اللغوي العربي تشتمل على عدة معاني لما لها من العمق والثراء والشمول في الحياة برمتها.

أما من الناحية الاصطلاحية، عرفها الأستاذ (سايس/R U SAYE). الإنجليزي بقوله هي: كل عضو حي ويشتمل جميع نشاطات الإنسان ونتائج هذه النشاطات والمعتقدات والملابس والمنازل والطعام واللغة والموسيقى... كما تشتمل بصفة خاصة على أفكار الإنسان حول الطبيعة التي تحيط به،.... (محمد، الطمار، 1983،، صفحة 10) وهذا التعريف حدد جميع الجوانب الحياة بأكملها، وهنا إشارة واضحة أن لكل مجتمع أو بيئة خاصة لها ثقافتها التي تميزها عن غيرها.

ويرى مالك بن نبي - رحمه الله - أن الثقافة ليست مجرد علم يتعلمه الفرد في المدارس ويطالعه في الكتب، وإنما هي جو عام من الأذواق والعادات والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحديد دوافع الفرد وانفعالاته وعلاقاته بالأفراد الآخرين وبالأشياء (نبيل، فركوس، 2019،، صفحة 8). كما أنها عبارة عن مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته... لتُكون هكذا المحيط الذي يشكل فيه (الفرد) طباعه وشخصيته (مالك، 1984،،، صفحة 74). وتتقاطع هذه التعريفات فيما بينها على مجموعة من العناصر والمتمثلة في القيم والعادات والتقاليد التي تؤثر في تكوين الأفراد منذ نشأتهم في البيئة الخاصة بهم.

2.2 لفظة الشعبية: كانت لفظة الشعبية في وقت ليس ببعيد تدل على البدائية والتخلف؛ فالثقافة الشعبية ما هي إلا عبارة عن ترسبات وتراكمات الماضي البعيد، ولعل المراد هنا بالشعبية: مجموعة من العناصر الثقافية التي تصدر عن الشعب تمثل حصيلة معارف وخبراته ومهاراته في مرحلة تاريخية معينة. وأكدت الدراسات الإنسانية الحديثة أن الثقافة الشعبية تسير في نموها العقل والفكر والسلوك البشري، تتسم بالأصالة وبالتالي فهي خزان التراث والحافظ له وهي من أهم عوامل التكامل المحلي والوطني، في إبرازها الخصوصية المجتمعية وهويته (رشوان، 2006،).

الثقافة الشعبية في الجزائر. الحكاية الشعبية عند عبد الحميد بورايو أنموذجا

ومن خلال القول السابق، يتضح لنا أن الثقافة الشعبية تتعلق بالتراكم المعرفي والفكري والعقلي والسلوك الإنساني بصفة عامة، وكذلك هي بمثابة الموروث والخزان الذي يحصل عليه الإنسان في بيئته، بالإضافة إلى التفاعل والتكامل بين الثقافة المحلية والوطنية في تحديد التمايز والخصوصية بين المجتمعات.

حيث تتقاطع الكثير من تعريفات الثقافة الشعبية في مجموعة من القيم؛ فالثقافة الشعبية هي الأنواع المتدنية من الأعمال، وهي الثقافة الزائدة عن الحاجة، وهي أيضا الثقافة الدونية، ثم في تعاريف أخرى هي الثقافة الجماهيرية التي أنتجت لغرض الاستهلاك، وهي ثقافة تستهلك ببلاهة وسلبية (علي، ل.، 2024، صفحة 24). هكذا نفهم من خلال سياق القول أنه ينظر للثقافة الشعبية بنظرة احتقار وازدراء ومن زاوية ضيقة سلبية، أو على الأقل تندرج في المرتبة الدنيا.

2.3 الثقافة الشعبية الجزائرية:

لابد من تحديد مفهوم الثقافة الشعبية الذي أثار جدلا واسعا بين الباحثين والدارسين وذلك لتداخله مع مفاهيم أخرى تحمل تسميات مماثلة مثل: "التراث الشعبي"، و"الموروث أو المآثورات الشعبية" و "الفلكلور" وغيرها من المصطلحات التي تصب في المواد الثقافية، لكنها تحمل معاني وإيحاءات لها حقوقها الدلالية الخاصة بها.

وفي هذا السياق، نستحضر قول عبد الحميد بورايو الذي يرى بأن الثقافة الشعبية هي مجموع الرموز وأشكالا التعبير الفنية والمعتقدات والتصورات والقيم والمعايير، والتقنيات والأعراف والتقاليد والأنماط السلوكية التي تتوارثها الأجيال، ويستمر وجودها في المجتمع بحكم تكيفها مع الأوضاع الجديدة واستمرار وظائفها القديمة أو إسناد وظائف جديدة لها (بورايو، 2006،، صفحة 7).

ولعل هذا التعريف الذي ذكره الناقد أقرب للصواب والتفصيل الذي يناسب الثقافة الشعبية الجزائرية، لاسيما عندما تطرق للحديث عن الممارسات الثقافية التي عانتها الجماعة الجزائرية منذ العصور القديمة وبالتسليط الضوء على فترات تاريخية معينة.

حظي الأدب الشعبي الجزائري في العهد الاستعماري باهتمام ضئيل إذا قورن بجوانب الحياة الشعبية الأخرى. وما حظي منه باهتمام كان يرتبط ارتباطا مباشرا بالثقافة المادية، واعتمد الباحثون الفرنسيون كما تصلح للكشف عن سلوك الإنسان الجزائري وردود أفعاله، وأهملوا إهمالا تاما الطبيعة الفنية لهذا

عبد الصمد حمداوي

الأدب، حيث ركز هؤلاء الباحثون على الجوانب المتعلقة بالعقيدة، وبصفة خاصة قصص الأولياء والصالحين التي أفردوا لها كتباً وبحوثاً كثيرة (بورايو، ع.، الأدب الشعبي الجزائري، 2007،، صفحة 15).

وهكذا نستنتج أن الدراسات الثقافية الشعبية الجزائرية التي قام بها المستعمر لم تكن بريئة، بل كانت وسيلة للسيطرة والهيمنة والتحكم على الأهالي الجزائريين، وعلى الرغم من الجهود التي سعى إليها المستعمر إلا أنها لم تخضع للتوجيه العلمي والدقة في عملية جمع النصوص، بل كانت خاضعة لعوامل الصدفة والارتجال على حد تعبير عبد الحميد بورايو، وهذا كله بسبب عدم الثقة بين الأهالي والفرنسيين.

وفي هذا الصدد يعترف الكولونيل (ك. تريميلييه) (C. Trumulet) أنه ليس من السهل أبد أن نجعل أحدا من الأهالي الجزائريين يتكلم، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بموضوع يتصل في جانب من جوانبه بدياناتهم ومعتقداتهم وبأولياءهم، وكل شيء بالنسبة لهم حرام أو مقدس ويعتقدون أنه يصيبهم دنس، ويعتقدون أنه يصيبهم دنس، إذا ما تحدثوا مع مسيحي (بورايو، ع.، الأدب الشعبي الجزائري، 2007،، صفحة 16). وهنا تتجلى خطورة تسليم المعلومات حول الثقافة الشعبية للعدو، لأنها ستكون سلاح فتاك للقضاء والتحكم على أصحابها، ولهذا كان الأهالي على علم ووعي بهذه الخطورة.

3. الثقافة الشعبية الجزائرية عند عبد الحميد بورايو

اهتم الناقد بالأدب الشعبي الجزائري بصفة عامة وبالحكايات الشعبية بصفة خاصة؛ حيث قام بالعديد من الدراسات والبحوث تتعلق بها، ونذكر بعض منجزاته العلمية التي فيها موضوع الحكاية الشعبية على سبيل المثال لا الحصر، كتابه القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، وهو عبارة عن رسالة تقدم بها للحصول على درجة الماجستير بالقاهرة سنة 1976م، وكتابته الثاني الموسوم بـ الأدب الشعبي الجزائري، والذي تطرق فيه عن الإرهاصات الأولى للثقافة الشعبية الجزائرية والدوافع التي جعلت المستعمر الفرنسي الاهتمام بها. وهناك كتاب آخر المعنون بـ البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، الذي جمع فيه مجموعة من النصوص الشعبية التي سجلها هو بنفسه أو غيره من الرواة، وغيرها من المؤلفات.

إن الحكاية الشعبية لها عدة تعاريف متباينة لدى الباحثين والدارسين من مختلف التخصصات سواء في علم الاجتماع الثقافي وعلم النفس الاجتماعي والأدب الشعبي والأنثروبولوجية، حيث الكل وجد ضالته فيها لأنها تكشف عن البنية الفكرية للمجتمعات.

الثقافة الشعبية في الجزائر. الحكاية الشعبية عند عبد الحميد بورايو أنموذجا

وكما عرفها سعيدي محمد بقوله: هي محاولة استرجاع أحداث بطريقة خاصة ممزوجة بعناصر كالخيال والخوارق والعجائب ذات طابع جمالي تأثيري نفسيا واجتماعيا وثقافيا (سعيد، محمد)، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق،، بدون تاريخ، صفحة 58).

ويعرفها في موضوع آخر بأنها وصف لواقعة خيالية أو شبه واقعية أبدعها الشعب في ظروف حياته، سجلها في ذاكرته ورواها أفرادها لبعضهم البعض بمرور الأيام، توارثوها فيما بينهم عن طريق المشافهة من أجل المتعة والتسلية (سعيد، محمد)، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق،، بدون تاريخ،، صفحة 58).

يتقاطع التعريف الأول مع الثاني على أنها تستمد وجودها من الواقع النفسي والاجتماعي للشعوب، كذلك في خاصية الخيال والشبه الواقعية، وتتوارث بين الأجيال بواسطة المشافهة، وتكمن وظيفتها في المتعة والتسلية.

ولكن الذي يهمنا في هذا المقال هو تعريف عبد الحميد بورايو قائلا: الحكاية الشعبية شكل قصصي، يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب، وقد دفع تنوع موضوعاتها الباحثين إلى استخراج عدة أنواع منها، ففرعوا عنها حكايات الواقع الاجتماعي، والحكاية اليومية، والحياة المعاشة، وحكايات الحيوان، والحكايات الهزلية، وحكايات الألغاز، وحكايات الواقع الأخلاقي ... إلخ (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية،، 1986، صفحة 118).

و من خلال التعريف السابق نستطيع القول بأن الحكايات الشعبية تستمد مادتها من الواقع النفسي والاجتماعي للشعوب؛ وتصنف لدى الباحثين حسب مضمونها والمتمثلة في عدة أنواع، حكايات الهزلية وحكايات الحيوانات وغيرها.

وفي موضع آخر يعطيها تعريفه الخاص بقوله: هي أثر قصصي ينقل مشافهة أساسا، يكون ثريا يروي أحداثا خيالية لا يعتقد راويها ومتلقيها في حدوثها الفعلي، تنسب عادة لبشر وحيوانات وكائنات خارقة، تهدف إلى التسلية وتزجية الوقت والعبرة (بورايو، 2007،، صفحة 185). وقد ركز عبد الحميد بورايو في هذا التعريف للحكاية الشعبية في العبرة التي تهدف في مقصديتها التعليمية الهادفة؛ ولا سيما إذا كانت تروى للأطفال الصغار، وبالإضافة إلى تداولها في المقاهي والأسواق والشوارع وغيرها.

1.3 قراءة في تحليل عبد الحميد بورايو لحكاية (الإخوة الثلاثة).

عبد الصمد حمداوي

يعتمد عبد الحميد بورايو على العديد من المناهج الغربية في تحليل النصوص الأدبية الشعبية واستفادة من أطروحات النقاد الغرب أمثال: رولان بارث، وكلود برعمون، وجوليات غريماس، وتزفيتان تودوروف، وكلود ليفي ستراوس، ولكن مرجعيته الأساسية يستمدّها من منهج الشكلايني الروس الشهير - فلاديمير بروب لتحليل مورفولوجية الحكاية الشعبية، انتهى فيه إلى نظرية (المثال الوظيفي) التي استطاعت أن تحدد 31 وظيفة قارة مستمدة من حوالي 100 حكاية شعبية روسية حللها بروب؛ قد لا تظهر كاملة في الحكاية الواحدة، ولكنها لا تتجاوز هذا العدد من جهة. وتخضع لنظام تعاقبه خضوعا مطرد من جهة أخرى (يوسف،، 2002،، صفحة 125).

والأمر المهم في التفكير النقدي عند الحميد بورايو، هو إعطاء الأولوية للنص الأدبي، وأن المنهج المتبع في الدراسة والتحليل إنما يكون وفق المادة المدروسة وليس العكس، وأول خطوة ينبغي القيام بها هي تحديد نوعية هذه المادة، ذلك أن الوسائل والإجراءات يجب أن تستمد خصائصها بمراجعة طبيعة النص الأدبي الذي يتعامل معه (بورايو، ع.، منطق السرد، (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)،، 1994،، صفحة 2). لأن النصوص الأدبية بمثابة المادة الخام تنتعش بالقراءة والتحليل وقد تتفاوت في حملتها المعرفية والدلالية.

وفي هذا الصدد يوضح الناقد طريقة تحليله حيث يقول: هدفنا الكشف عن الهيكل البنائي للقصص، وبتعبير آخر البنية التركيبية التي تمثل الجوهر الثابت خلق مختلف أشكال القصص موضوع الدراسة، (...)، وسيكون سبيلنا إلى ذلك إتباع منهج تحليلي وتركيب في نفس الوقت، ففرد القصة إلى وحداتها الأساسية التي تتألف منها، ونقوم باستقراء طبيعة علاقتها على مختلف المستويات المورفولوجية، والتركيبية، والدلالية معتمدين على مبدئي التوافق والتخالف بين العناصر (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية،، 1986،، صفحة 137). وهذا الذي يمكن من استنباط النموذج التي تخضع لها البنية القصصية في مختلف المستويات للوحدة الوظيفية.

2.3 التحليل البنيوي للحكاية الشعبية :

في دراسة عبد الحميد بورايو للحكاية الشعبية (الأخوة الثلاثة)، حيث قسم الحكاية إلى أربع مقطوعات، والمقطوعة مجموعة من المتتاليات، تخضع لأشكال مختلفة من العلاقات، وتمثل المقطوعة بنية متكاملة، وهي تعد الوحدة الحقيقية لمحتوى القصة على المستوى الدلالي، وهي تتمتع بحرية نسبية في ارتباطها بغيرها من المقطوعات إذا ما قيست بالوحدات السابقة (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة

الثقافة الشعبية في الجزائر. الحكاية الشعبية عند عبد الحميد بورايو أنموذجا

بسكرة،دراسة ميدانية،، 1986 ،، صفحة 138). ويتضح لنا أن كل مقطوعة تحتوى على قصة قائمة بذاتها وترتبط بغيرها في استمرارية الحكى وهكذا دواليك.

النص الكامل للمقطوعة الأولى: وتتمثل في القصة الأم (الأساسية)،وتتفرع أحداثها الفرعية في المقطوعات الأخرى،وهي المقطوعة الثانية والثالثة والرابعة وفي النهاية تقدم للقارئ بنية متكاملة. تروي الحكاية قصة أخوين اتفقا أن يزوج أحدهما بناته لأبناء الآخر، لكن الأول أخلف وعده، عندما مات أخوه، واشترط على أبناء أخويه أن يرحلوا إلى ثلاثة أماكن حيث يطلعوا على ثلاث قصص جرت حوادث حوادثها لأشخاص يسكنون في هذه الأماكن،وقد فعل الأخوة ذلك وتزوجوا بنات عمهم (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة،دراسة ميدانية،، 1986 ،، صفحة 226).

استهلال الحكاية: لم يستهل الراوي روايته وإنما رواها مجردة من عبارات الاستهلال، والمقصود بالاستهلال هو تهيئة السامعين من أجل التلقي الحكاية وهو عبارة عن سرد أبيات شعرية والصلاة على النبي صل الله عليه وسلم وغيرها.

مات أبو الأولاد، وعندما ذهب الأولاد يطالبون عمهم بتحقيق وعده،رفض واشترط عليهم أن يرحلوا إلى تونس والإسكندرية وطبرية،لكي يطلعوا على ثلاث قصص جرت لثلاث أشخاص يقيمون في هذه المدن،وإذا ما فعلوا ذلك فإنه يقبل أن يزوجهم بناته.يرحل الأولاد ويطلعوا على القصص الثلاث،وتمثل كل قصة مقطوعة مستقلة،ويعودون لكي يطالبوا مرة أخرى بالزواج ببنات عمهم،ويحقق عمهم هذه المرة وعدهم ويزوجهم بناته (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة،دراسة ميدانية،، 1986 ،، صفحة 227).

وبعد ذلك يستخرج الناقد الوحدات الوظيفية في القصة على النحو التالي:

- 1-وقوع شر بسبب نقض التعهد(تعاهد).
- 2 - وساطة من أجل إزالة الشر(عمل الأبناء في تحقيق رغبة أبيهم).
- 3-اختبار تمهيدي فاشل(فشل محاولتهم في تحقيق رغبة أبيهم).
- 4-خروج.

عبد الصمد حمداوي

5- الاختبار الأول الإيجابي (حصولهم على القصص الثلاثة).

6- عودة.

7- الاختبار الرئيسي الإيجابي (تحقيقهم لرغبة أبيهم وزواجهم من بنات عمهم).

8- إزالة الشر (ن طريق تحقيق رغبة الأب) (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، 1986،، صفحة 227).

وتتمثل هذه المجموعة الوظيفية في الافتتاحية للقصّة الشعبية.

ونلاحظ أن (بورايو) يقدم معادلات رياضية، وجداول تبين سير أحداث الحكاية ومراحلها، وكذلك حدد حدود كل متتالية وعلاقتها بالأخرى؛ وبعد تفسير لمعطيات الجدول، وضع الثنائيات الضدية الموجودة ليربطها بالنظام الاجتماعي العام.

وفي ضوء ما تقدم ذكره، واصل الناقد في توضيح طبيعة العلاقات بين شخوص الحكاية ونوعية القرابة بينهم، كعلاقة التفاهم بين الأخوين، وعلاقة الرغبة القوية بين الأولاد والبنات في الزواج، وعلاقة التسلط بين أبو البنات وأبناء أخيه. أما بالنسبة للمقطوعات الثلاثة الباقية، فهناك تشابه في تحليلهم وهذه إشارة أن الحكاية منسجمة في أحداثها.

نجد في القصة الأولى تتحدث عن رحلة الأولاد إلى المدن (تونس، الإسكندرية، طبرية)، وملاحظتهم لأمر الغريبة، والقصة الثانية في حكاية الرجل الحلاق الذي نزلوا عند ضيوف، ولهذا تشمل هذه المقطوعة على قصتين، قصة وصول الإخوة إلى مدينة تونس، وقصة الحلاق، فاختلف التحليل لاستخراج المتتاليات، وفي المقطوعة الثالثة تشتمل مثل سابقتها على قصتين، قصة وصول الأخوة إلى المدينة، وقصة الرجل الإسكندري، والقصة الأولى تتكرر نفس المتتاليات في المقطوعة الثانية، وتحمل نفس الخصائص، ولذلك سنتركها لننتقل إلى القصة الثانية (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، 1986،، صفحة 243).

والملاحظ أن الناقد يتجنب التكرار عملية التحليل نفسها ويكتفي بالإشارة والتلميح فقط خشية الاجترار الممل. وفي نهاية الحكاية تنتهي بتقرير أن الأخوة الثلاثة تزوجوا بنات عمهم، وخاتمتها حيث ينهيها الراوي بعبارة: هذا ما سمعنا وهذا ما قلنا.

2.4 أنماط العلاقات التي تنظم على أساسها وحدات الحكاية:

الثقافة الشعبية في الجزائر. الحكاية الشعبية عند عبد الحميد بورايو أنموذجا

تنظم الوحدات الوظيفية للحكاية الشعبية حسب نوعي العلاقات المنطقية والزمنية، فتتظم وظائف كل متتالية حسب مبدأ السببية الحديثة، بينما تنظم وظائف المتتاليات جميعا فيما بينها، حسب مبدأ الاستتباع الزمن، فتظهر متتابعة، أو يقترن ظهورها في نفس اللحظة الزمنية (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، 1986، ،، صفحة 251).

وخلاصة القول يتوصل عبد الحميد بورايو في حكاية الأخوة الثلاث إلى ثلاثة علاقات مترابطة فيما بينها، علاقة أن القصة الأم تحتوي ثلاث قصص، وعلاقة تسلسل قصص رحلة الأخوة الثلاثة، وعلاقة اقتران فيما يخص قصص الرجال الثلاثة.

2.5 التحولات النبوية في الحكاية الشعبية:

أشار الناقد إلى التحولات النبوية الموجودة في الحكاية الشعبية، وعلى مستوى المدلولات، أي الانتقال والتحول من مرحلة إلى مرحلة أخرى عبر سنن كونية، وفي هذا الصدد يقول: فنجد أن الحكاية الأم قدمت تحولا دلاليا معادلا للتحول الذي أصاب حياة الأخوة الثلاثة أبطال الحكاية، من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد، ويعد الزواج علامة هذا التحول من المحيط الفردي للأخوة إلى المحيط الاجتماعي، عن طريق دخولهم في علاقات اجتماعية جديدة هي علاقات الزواج (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، 1986، ،، صفحة 252).

ونلاحظ على أنها علاقات مبادلة، باعتبارها علاقة اجتماعية تخضع لنظام العقد الاجتماعي، فتحكمها علاقة المبادلة التي تجسد تقدما في مستوى التعامل بين البشر، وانتقالا من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية- الثقافية، ولهذا لا بد تعلم أسس هذا النظام بغية الحفاظ على القبيلة (العشيرة) وممتلكاتها.

2.6 البناء المكاني والزمني للحكاية الشعبية:

في دراسته للحيز المكاني يوضح التضاد الموجود بين المواطنين، موطن الإخوة الثلاثة، والمدن الثلاثة، فالأول هو فضاء مرحلة الطفولة الأخوة أبطال الحكاية، حيث نشئوا وبلغوا سن الرجولة، (...) ويكتمل كيانه

عبد الصمد حمداوي

المستقل، ليتحرر من سلطة الأب (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، 1986، ، صفحة 254). ففي نظر الناقد هو فضاء العالم الفردي الخالي من المسؤوليات والالتزامات. أما المدن الثلاث فهي الحيز المكاني لعالم الجماعة، حيث قامت تجارب التعامل الاجتماعي عن طريق المبادلة، وفق نظام متعارف عليه ومبني على قوانين يجب احترامها (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، 1986، ، صفحة 254).

وفي موضوع آخر يقدم الناقد توصيفا للحيز المكاني، حيث نلاحظ أن موطن الأخوة بوصفه عالما لتجربة فردية، والمدن الثلاث بوصفها عالما لتجربة اجتماعية فاشلة، ثم موطن الأخوة بصفته عالما لتجربة اجتماعية ناجحة (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، 1986، ، صفحة 255). هكذا جاءت مراحل التحول الوظيفي في الحكاية، وبهذا نستنتج أن الاحتكاك الاجتماعي يؤدي إلى اكتساب الخبرة والنضج في الحياة. وفي نفس السياق يتطرق الناقد للحديث عن البناء الزمني للحكاية، وذكر بأنه يقوم على علاقة بسيطة بين زمن البلاغ وزمن الإبلاغ، وهي صورة التي يأخذها الزمن في مستوى الشعور (الوعي الإنساني) وحصره في العناصر الآتية:

أولا - زمن الرواية كما تأتي على لسان راوي الحكاية.

ثانيا - زمن الرواية كما تأتي على لسان الرجال الثلاثة رواة القصص التي تلقاها الأخوة.

ثالثا - زمن جريان أحداث الحكاية الأم (المتمثلة في المقطوعة الأولى).

رابعا - زمن جريان أحداث القصص الثلاث المروية (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، 1986، ، صفحة 256).

وفي الأخير ربط الناقد الحكاية الشعبية بالمجتمع الذي أفرزتها على شكل نص أدبي؛ إن المجتمع البسكري الذي لا زال يتمسك بمبدأ تبادل العائلات فيما بينها لبناتها، حيث يعد استبدال الأب لبنته عندما يتزوجها بنت أخرى يزوجها لابنه، هي القاعدة المفضلة للزواج، كما أن اعتبار دفع المهر بندا قائما في الزواج، يعد تأكيدا لهذا النظام (بورايو، ع.، القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، 1986، ، صفحة 257).

الثقافة الشعبية في الجزائر. الحكاية الشعبية عند عبد الحميد بورايو أمودجا

وعلى هذا الأساس أصبحت حكاية الأخوة الثلاثة ذائعة الصيت في المجتمع البسكري، فهدفها الأسمى هو التشجيع على الارتباط (الزواج) داخل المجتمع في عملية تبادلية، بغية الاحتفاظ على العادات والتقاليد والبنية الفكرية والثقافية للمجتمع، وهذا يتطلب نوع من الصبر والاقتداء بالآباء والأجداد للاستمرارية هذه العادة المتجذرة، وكانت هذه الحكاية هدفها ترسيخ الفكرة في الأذهان عبر الأجيال المتعاقبة.

7. خاتمة : وفي ختام هذه الورقة البحثية نذكر جملة من النتائج المتوصل إليها على النحو الآتي :

الثقافة الشعبية هي عبارة عن ترسبات وتراكمات الماضي البعيد والقريب، ولها علاقة بالجانب المعرفي والفكري والعقلي والسلوك الإنساني، وكل ماله علاقة بالحياة من المعتقدات والملابس والمأكولات... إلخ، وكل منطقة أو بيئة لها خصوصيتها المتميزة.

اهتم عبد الحميد بورايو بالأدب الشعبي الجزائري؛ حيث قدم العديد من الدراسات والبحوث العلمية منها على سبيل المثال فقط، كتابه القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، وكتاب الأدب الشعبي الجزائري، وكانت الثقافة الشعبية الجزائرية (التاريخ والقضايا والتحليلات)، وكتاب البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري وغيرها من المنجزات.

لكل حكاية لها هدفها التي تسعى للوصول إليه، وهذا الذي توصل إليه (بورايو)، من خلال تحليله لحكاية (الأخوة الثلاثة)، فهدفها ترسيخ فكرة تبادل العائلات لبناتهم في عملية الزواج، وذلك من أجل الاحتفاظ على العادات والتقاليد والبنية الفكرية والثقافية للمجتمع، وخاصة في المجتمع البسكري التي تداولت فيه هذه الحكاية المتعاقبة عبر الأجيال.

5. قائمة المراجع:

أحمد ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة (الإصدار د ط). لبنان : دار الفكر.

حسين، عبد الحميد، أحمد رشوان. (2006). الثقافة، دراسة في علم الاجتماع الثقافي. الاسكندرية: شباب الجامعة.

سعيد، محمد. (بدون تاريخ). الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

صالح، بن نبيل، فركوس. (2019). تاريخ الثقافة الجزائرية، من العهد الفينيقي إلى نهاية الاستقلال 814 ق.م -

1962 (المجلد الأول). الجزائر: البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.

عبد الصمد حمداوي

عبد الحميد، بورايو، (2006)، في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتحليلات، الجزائر: منشورات الأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين.

عبد الحميد، بورايو، (2007)، الأدب الشعبي الجزائري، (دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر)، الجزائر: دار القصة للنشر،.

عبد الحميد، بورايو، (1986)، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، الجزائر: المؤسسة للكتاب،.

عبد الحميد، بورايو، (1994)، منطق السرد، (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،.

لونيس، بن علي، (2024)، القراءة في المناطق المحظورة، مقاربات نقدية في روايات عربية معاصرة، الجزائر: دار ميم للنشر،.

مالك، بن مالك، (1984)، مشكلة الثقافة، دار الفكر،.

محمد، الطمار، (1983)، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

وغليسي، يوسف، (2002)، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، الجزائر: إصدارات رابطة .